أمن أجلي كل هـذا . كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا اضيع فيكِ من دمعة على خد مهجور . أنا اهون على الدهر من ذرة من ذراتك ضلت بين ثنيات الاثير . . . . .

ولي الربيع يكون

ازهار واشواك

اقرار ومتاب

هذا هو عنوان القصيدة التي اشرت اليها في العدد الماضي اثناء ما رويتهُ عن الحفلة الجميلة التي أقيمت في منزل صديقي سليم سركيس اكراماً لصديقته السيدة نجلا صباغ . فزت بها لأتحف قرائي بعذوبة نظمها واطربهم ببديع معانيها ، وقد شاء خليل مطران منضد دررها ان يخصني بها وهي خير ما اقدمه لقراء الزهور في هذا الشهر . قال خليل متذكراً وما أجمل تذكاراته !

هل تذكرين[1] ونحن طفلان عهداً «بزحلة»[2] ذكره غُنمُ
اذ يلتقي في الكرم ظلاّنِ يتضاحكان وتأنس الكرمُ ؟
هل تذكرين بلاءنا الحسنا حين اقتطافِ أطايب العنبِ
نُعطي ابتساماتٍ بهـا ثمنا وبنا كنشوتها من الطربِ ؟

عنب « زحلة » يساوى كثيراً على ان الشاعر لم يدفع به ثمناً بخساً

هل تذكرين غداة نخطر عن مَلكين حفًّا بالمسرّاتِ
بين السماواتِ النواضر من عليـا ودنيـا والثريات ؟

(١) الشاعر يخاطب السيدة نجلا صباغ قريبته (٢) مدينة فى لبنان

والنهر .. هل هو لا يزال كما كنا لذاك العهدِ نألفهُ
يسقي الغياض زلالهُ الشبما ويزيد بهجتها تعطفهُ
ينصبُّ مصطخباً على الصخر ويسير معتدلاً ومنعرجا
يطغي حيال السدّ او يجري متضايقاً آناً ومنفرجا
متخللاً خضر البساتين متهللاً لتحية الشجرِ
متضاحكاً ضحك المجانينِ لملاعب النسمات والزهرِ
واهاً لذاك النهر خلّف لي عطشاً مذيباً بعد مصدرهِ
يا طالما أوردتهُ أملي وسقيت وهمي من تصورهِ

بورك فى هذا النهر الذى ينفخ هذه الروح فى وارد مياهه العذبة ولا عجب فهو « البردونى » الشهير

تمتدّ أيام الفراق وبي ظمأي لذاك المنهل الشافي
وبمسمعي لهديرهِ اللجب وبناظري لجماله الصافي
تلك المعاهد بدّلت خطلاً بمعاهد مدنيَّة الزّينِ
كانت غوانيَ فاغتدت بحلًى ألقتْ عليها شبهة الزمنِ
الدهر أغلبُ وهو غيَّرها وكذاك كانت شيمة الدهرِ
لو أدرك الجنَّات صيرها من حسن فطرتها الى نكرِ
ما أنسَ لا أنسَ العقيق وقدْ جزناه بعد السيل نفترجُ
كان الربيع وكان يوم أحدْ ومسيرنا متمعّجٌ زلجُ
ونبيهة [1] الكبرى ترافقنا مجهودةً ضجَّتْ من التعبِ
ولها صويحبة [2] توافقنا حسناء كل الحسن في أدبِ

(١) يريد بها السيدة نبيهة مدام سليم افندى مغبغب (٢) يريد بها سيدة متزوجة الآن فى نيويرك كانت فى صغرها رفيقة الشاعر وهى قريبته ايضاً

ضحاكة كالنَّور في الزهَرِ　　رقاصة كالغصن في الوادي
كرارة كنسيمة السحرِ　　ثرثارة كالطائر الشادي

لا أعرف شدواً أحسن من شدو خليل حينما تضرب الذكرى على اوتار قلبه

صنعت بقلبي صنعها فاذا　　هو ينكر القربى ويجحدها
ترك الهوى الاهليَّ واتخذا　　تلك الغريبة عنهُ يعبدُها

وكذاك قلب الطفل يلتفت　　ان يلفِ حبًّا غير ما ألفا
كالطائر البيتيّ ينفلت　　تبعاً لسانحة بها شغفا

حسنٌ تملّكني فأدَّبني　　ما شاء في قولي وفي فعلي
وبمثل لمح الطرف اكسبني　　خُلُقاً وعلمني على جهلي

اكرم بالجمال اذا كان يكسب مثل هذا الادب

أوحى اليَّ دَداً أُجربهُ　　في آية من فطنةٍ وَدَدِ
فجمعت صلصالاً أركبهُ　　وصنعت تمثالاً لها بيدي

قلم خليل فى الوصف يفوق قلم ابرع المصورين فلا بدع اذا جاء هذا «التمثال» الرامز الى الحب آية فى الجمال

صوَّرت شبه الفرخ في وكرِ　　من غير سبقٍ لي بتصويرِ
فأتى على ما شاءه فكري　　ورضيت عن خلقي وتقديري
ما كان ذاك الفرخ معجزة　　فتانة الاتقان والحسنِ
كلا ولم اجعله معجزةً　　لكفاءة الحذاق في الفنِ

فلربَّ عينٍ فيه لم تكنِ　　في الحق غير مظنّة العينِ
ومظلة للزغب لم تبنِ　　حتى ولا ريش الجناحين

ولعلَّ ذاك العش لم تفرِ فيــه شروط الوضع والنقشِ
لكن على حلم من النظر تستام فيــه معالم العشِ
رسم على تلك العيوب بدا لحبيبتي من أعجب العجبِ
فتناولتــهُ برقةٍ وغــدا بين الصواحب أنفس اللعبِ
أمُحيّري الاحــلام بالهرم و بنــاة بابل فتنــة الحقبِ
ومهندسي اليونان من قــدم والفرس والرومان والعربِ
ومشيّدي بغــداد والجسرِ وممصّري الامصار للبدوِ
ومزخرفي الحمراء والقصرِ حيث انتهى بهم مدى الغزوِ
اي رافئيل المبدعَ الصورا اي ميكلنج الناقشَ الباني
اي كلّ فانٍ تاركٍ اثرا من طابع التخليد في فانِ
لا تستعزَّ بكم روائعكم ممــدوحة في الشرق والغرب
أترون كم صغرت صنائعكم في جنب ما صنعت يدا حبي
بدليل انَّ حبيبتي فرحت بهديتي وقضت لهــا عجبا
ومضت تداعبها وما اقترحت شيئاً يتمُّ لهــا بهــا اربا
يوم تقضّى والفراق تلا سرعان ما وافى وما انصرما
بهوىً تولَّد فيــهِ واكتهلا في ساعتيهِ وشاخ وانعدما
ولّى وابقى في دجى الماضي شفقاً بعيداً واضح الأثرِ
كم اجتليهِ وراء انقاضِ واقول يا اسفي على سحرِ
هذي حكاية حالة عبرت واستغرقت في لجــة المحنِ
ما زلت أنقذ كلّ ما ذكرت قطعاً طفت منهــا على الزمنِ

فاذا صفاء النفس عاودني وأقرّني فوق التباريح
دال الهوى الاهلي من حزني وبقيتما ريحانتَي روحي

لا مجال اليوم للاشواك مع هذه الزهرة الزهراء ، فالى العدد القادم (حاصد)

سمو الامير ضياء الدين افندي اكبر أنجال جلالة السلطان وقد قدم الى القطر المصري لتحية جلالة ملك وملكة الانكليز في سفرهما الى الهند

﴿ رواية الشهر ﴾

القطار الضائع (١)

في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ، وقف رجل في محطة سكة حديد « لندن والنواحي الغربية الوسطى » في ليفربول ، وطلب أن يرى مستر جايمس بلاند ناظر تلك المحطة . وكان هذا الرجل كهلاً اسمر اللون ، قصير القامة ، محدودب الظهر ، كأنَّ في عموده الفقري تقوساً أصلياً . وكان يرافقه رجل مهيب تدلّ ملامحهُ على انهُ اسبانيّ الجنس ، او اميركي من اهالي اميركا الجنوبية . وهو متأبط محفظةً صغيرة من الجلد الاسود مشدودة الى يده اليسرى بسيرٍ قد انطبقت عليهِ قبضتهُ بحرصٍ شديد

ولما مَثل الاقوس بحضرة مستر بلاند تسمَّى قائلاً : انا لويس كاراتال . وقد وصلت الساعة آتياً من احـد ثغور اميركا الوسطى ، وقاصداً الى باريس حيث تستدعيني اشغالٌ عظيمة الاهمية جدًّا . ولقد ساءني كثيراً انني لم ادرك قطار الاكسبريس الذى سافر منذ هنيهةٍ الى لندن . وليس في طاقتي أن أتربص ريثما يسافر القطار الآخر لأن كل ساعة أقضيها بعيداً عن باريس تكون بمثابة قضاء مبرم على اعمالي وآمالي . لهذا اودُّ السفر في قطارٍ خاص بي وحدي غير مكترث للمال الذي يجب عليَّ بذله في هذا السبيل

فأمر مستر بلاند بأن تعدَّ قاطرة خصوصية ، وبأن تربط بها عربة للفحم ، وعربتان ، احداهما تحتوي على قسم مُعدٍّ للجلوس فيـهِ ، وقسم يُعرف « بغرفة التدخين » والاخرى لا معنى لهـا سوى تخفيف ارتجاج العربة الأولى . فدخل لويس كاراتال ورفيقهُ الذي لم يعرف احد اسمهُ الى الاولى وبقيت الثانية خالية خاوية

ولم يكد يعود مستر بلاند الى مكتبه حتى وقف بين يديه رجلٌ يُدعى مستر

---

(١) The lost train للكاتب الانكليزى المشهور Conan Doyle كونن دويل

هوراس مُور وطلب منهُ بالحاح ما طلبهُ وفاز بهِ من قبل مسيو لويس كاراتال ورفيقهُ . قال ان مرضاً فجائياً اصاب زوجته في لندن ، وانهُ يخشى عليها كثيراً . فسفره لازم لازب لأنَّ اموراً عائلية متوقفة على ان يدرك زوجتهُ قبل وفاتهـا فان هي ماتت قبل أن يراها جرَّت معها الى القبر مستقبل عائلةٍ بأسرها

فقال مستر بلاند ان القانون يحظر عليهِ أن يُسيّر قطارين خصوصيين على خطٍ واحد في زمان واحـد . على انهُ لا يرى مانعاً من السعي مع مسيو كاراتال فلعله يسمح بأن يُشرك آخر معهُ في قطاره الخاص . وقيل لمسيو كاراتال في ذلك فأبى كلَّ الاباء . وحاول بعضهم أن يقنعهُ ولكنهُ اصرَّ على الرفض متشبثاً بكونهِ قد دفع اجرة القطار وحده فهو والحالة هـذه الآمر الناهي . فاسقط في يد مستر هوراس مُور حين غلب جفاء الاميركي الأقوس على لينهِ والحاحـهِ ، فاضطرَّ الى انتظار القطار العادي الذي كان مزمعاً أن يسافر في مساء ذلك النهار

ومشى القطار الخاص المقلّ لويس كاراتال ورفيقه في الساعة الرابعة ونصف تماماً . وكان الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر خالياً ، فلم يكن من الواجب أن يقف في محطةٍ ما قبل بلوغهِ الى منشستر اذ يصلها حوالي الساعة السادسة

ثمَّ كانت الساعة السادسة وربعاً ولم يبلغ القطار محطة منشستر . وابرقت هذه المحطة في ذلك الى اختها في ليفربول فقلقت هذه ، وساورتها المخاوف ، وأبرقت في دورها الى محطة « سنت هيلنس » الواقعة على نحو ثلثي الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر وسألتها عن ذلك القطار فورد منها الجواب التالي :

« مر القطار المخصوص فى الساعة ٤ والدقيقة ٥٢ » دوسر
سنت هيلنس

وكان ورود هذا النبأ على ليفربول في الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ . وفي الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ وصل نبأ برقي آخر من منشستر يقول : لا عين ولا أثر للقطار المخصوص . ثمَّ انقضت عشر دقائق أخرى فوردت البرقية التالية : تحققوا جيداً من الموعد الذى مشى فيه القطار المخصوص ، فان قطار سنت هيلنس المحلى الذى كان يجب أن يصل بعده قد دخل محطتنا بدون أن يرى له اثراً او شبه اثر منشستر

فقامت محطة ليفربول وقعدت لهذا النبأ ، ولكنها اطمأنت قليلاً اذ عرفت ان قطار سنت هيلنس لم يرَ اثراً للقطار المخصوص . فانتفى بذلك كل خوفٍ داخلها من حدوث أمرٍ ذي بال للقاطرة ، وترجح عندها ان احدى المحطات حجزت القطار المخصوص ريثما يمر القطار العادي . على انها رأت أن تتيقن الأمر فأبرقت في ذلك الى جميع المحطات بين ليفربول ومنشستر فوردت عليها الاجوبة التالية :

مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥	—	محطة كولنس كرين
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ٦	—	» إرلستون
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ١٠	—	» بنيوتون
مرّ القطار المخصوص فى الساعة ٥ والدقيقة ٢٠	—	» كنيون تجنكشون
لم يمر قطار مخصوص قط من هنا	—	» بارتون موس

فالتفت حينئذٍ مستر بلاند الى مدير الخطوط الحديدية لفتة دهش واندهال وقال : مرَّ عليَّ حتى اليوم زهاء ثلاثين سنة في خدمة مصلحة السكة الحديدية ولكنني لا أتذكر ابداً انهُ مرَّ بي مثل هذا الحادث الغريب من قبل !

فقال المدير : حقاً ان هذا لمن الغرائب التي تحير العقول ، واني لأعتقد ان هناك مصاباً أصاب هذا القطار بين محطتي كنيون تجنكشون و بارتون موس

— وفي رأيي ان القطار قد حاد عن الخط فشرد فتدهور في وادٍ ما

— اذا كان ذلك كذلك فكيف مرَّ قطار الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الخط بدون ان يرى له أثراً او يعثر على شبه أثر ؟

— لست ادري شيئاً يا مستر هود ، ولكن الواجب يقضي علينا بأن نأمر بفحص الخط بين كنيون تجنكشون و بارتون موس

ثم ما لبث ان ورد على ليفربول النبأ التالي من محطة منشستر :

« ما برحنا جاهلين كل شيء بشأن القطار المخصوص . اما الخط بين كنيون تجنكشون ، و بارتون موس ، فسليم كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

وعلى أثر هذا النبأ وردت البرقية التالية من ناظر محطة كنيون تجنكشون :

« كل الآثار تدل على مرور القطار المخصوص من هنا ، ولكن من اليقين عندنا انه لم يصل الى بارتون موس . فحصت بنفسي الخط الحديدى فوجدته سليماً كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

ونزل هـذان النبأ آن نزول الصاعقة على مستر بلاند فأخذ ينتف شعرهُ ، ويحرّق اسنانه من القهر والتأثر الشديدين ، وهو يقول: اني اكاد أجنّ يا مستر هود . أمن الممكن أن يتحول قطار حديدي الى بخارٍ يتطاير ثمّ يتلاشى فى الفضاء ؟

وفيما كان مستر بلاند ورفيقه مستر هود تتنازعهما الريب والشكوك، وتساورهما الأوهام والمخاوف اذ ورد عليهما من محطة كنيون تجنكشون هذا النبأ :

وجدنا الساعة جثة المسكين جون سلندر المهندس الميكانيكى للقطار المخصوص مطروحة فى منحدر مثلّم على ميلين ونصف ميل من المحطة

واتفق يومئذٍ ان صحف انكلترا لم تهتم لهذا الحادث الغريب لأنهـا كانت مشغولة عنهُ بحادثة اخرى أعظم أهمية ، وأشدّ تأثيراً في النفوس . ذلك انها كانت مشاركةً باريس في اضطرابها لفضيحةٍ سياسية كبرى كانت تهدد الحكومة الفرنساوية ، وفريقاً من عظماء القوم في ذلك العهد . فلمـا ذكرت حادثة القطار المخصوص لم تنظر اليها الاّ نظرها الى الحوادث الجنائية التي لا يعلّق عليها شأن ما

أما مستر بلاند فاستصحب المفتش كولنس مدير بوليس السكة الحديدية ، وقصد الى كنيون تجنكشون للبحث والتدقيق في أمر القطار الضائع . وكانت على جانبي الخط الحديدي بين تلك المحطة ومحطة بارتون موس ، مناجم فحم عظيمة ، ومعامل حديدية كبرى ، مربوطة بخطوط حديدية مفردة تصل بينها و بين الخط العام المزدوج . على ان بعض تلك المناجم كان قد أهمله أصحابهُ بعد ان استثمروه واستنفدوا فحمهُ ، فتركوه أشبه شيء بهوّات عظيمة فاغرة أفواهها ، ومظلمة كأن لا قرار لها . وخيّل الى مدير البوليس لأول وهلة ان القطار المخصوص شرَد الى أحد تلك الخطوط الصغيرة التي لم تحوَّل إبرتهـا عند نقطة الاتصال بالخط العام . ولكنهُ عاد فتذكر ان القطار الذي تلا في سيره القطار المخصوص مرّ من هنالك ولم

يشرد . فقال في نفسهِ انهُ لا يبعد ان تكون هناك يدٌ أثيمة جرَّت القطار المخصوص الى كمين من اللصوص كان يتربص له في احدى الغابات المجاورة

وشدَّ ما كان انذهال مستر بلاند ورفيقه حين رأيا ان معظم الخطوط الصغيرة كان غير متصل بالخط العام لأن أصحاب المناجم المهملة كانوا قد اقتلعوا بضعة أمتار من الحديد عند نقطة الاتصال لعدم حاجتهم بها ، ودفعاً لما قد ينجم عنها من المصاعب للقُطُر السائرة اذا أهملتها أيدي العملة . ومع ذلك فلم تفتر عزيمة هذين الرجلين عن التدقيق والتفتيش بل ماشيا جميع الخطوط الى غاياتها ، ولكنهما لم يقفا على أثرٍ للقطار الذي كانا يفتشان عنهُ ، ولا تبينا شبهةً ما . وكان أشد ما لاقياه من الذهول حين وقفا في المكان الذي وجدت فيهِ جثة المهندس سلندر على قيد أمتار قليلة من الخط العام الى جانب أحد الخطوط الصغيرة المقتلع حديدها قديماً عند نقطة اتصالها بالخط الكبير . وقد حيرهما أمرها فلم يفهما سبب وجودها هنالك على حين كان تهشمها دليل حدوث الوفاة فور السقوط من القطار اثناء سيره السريع

وعادت الصحف الى هذه الحادثة فذكرتها بعد أيام متهمةً مستر كولنس بالعجز والتقصير . وحملت عليه حملةً اضطرتهُ الى اعتزال وظيفتهِ حاقداً جازعاً

وفي اليوم الخامس من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٩٠ نشرت الصحف الرسالة التالية وقد كتبها « ملك فرسن » الذي كان يقود القطار المخصوص وأرسلها الى زوجتهِ من نيويرك فدفعتها زوجته الى الجرائد فنشرتها هذه وهي :

زوجتي المحبوبة

تذكرتكِ في غربتي وتذكرت شقيقتي العزيزة لويزا فهاجت الذكرى أشواقي اليكما . وتفكرت مليًّا في حالنا الحاضرة فوجدت ان المروءة تقضي عليَّ بألاَّ أتركما وحيدتين في لندن لا تجدان نصيراً ولا تلقيان سلوى . فلهذا أنا باعث اليكِ أيتها الحبيبة بمبلغ عشرين جنيهاً تبذلينها نفقةً لكما في سفركما الى هذه البلاد . فتعالي اذن توًّا الى نيويرك واقصدي الى بيت « جونستون » فيها حيث تجدين اني قد تركت لك الارشادات اللازمة لمعرفة المكان الذي سنتلاقى فيه . أما حالي فهي

قلقة جداً في الاثناء الحاضرة ولكنّ قلقها يجب ان لا يكون عقبةً في سبيل اجتماعنا.

السلام عليكِ وعلى الحبيبة لويزا

من زوجك

جايمس منك فرُسن

ثم سافرت هاتان المرأتان الى نيويرك تحت مراقبة البوليس السري . وأقامتا برهةً في بيت جونستون ولكن على غير جدوى فعادتا الى لندن خائبتين . ومرّت الايام على هذه الحوادث فنسيها الناس ، وأهملتها الجرائد فكأنها لم تكن

* * *

في سنة ١٩٠٨ اي بعد انقضاء زهاء ثماني عشرة سنة على ضياع القطار المخصوص بين ليڤربول ومنشستر ، نشرت جرائد مرسيليا في صباح احد الايام الرواية التالية ، وهي خلاصة ما اعترف به رجل يدعى « هربرت دي لرناك » الجاني المحكوم عليه بالاعدام عقاباً لقتله تاجراً يُسمَّى « بونڤالو » . قال :

« متى قرأ اعترافي هذا فريق من كبار القوم ، وعظماء السياسة في باريس ، فليعلموا أني أنتظر في سجني على مثل جمر الغضا تدّخلهم في امري وتوسطهم في سبيل العفو عني . والاّ فان حديثي الخالي من الأسماء اليوم ، يتحول غداً الى إفشاء أسرار هائلة قد طوتها الايام منذ سنة ١٨٩٠ ، فان العالم ما برح يجهل حتى الساعة حقيقة حكاية القطار المخصوص الذي حمل لويس كاراڤال ورفيقهُ من ليڤربول في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ثم تبخر بين محطتي كنيون تجنكشون ويارتون موس فتلاشى في الهواء . فحديثي اليوم حديث بطل تلك الرواية الذي كان يعمل بامرةِ اولئك الرجال العظام الذين وعدت بكتم أسمائهم طمعاً بأن يستصدروا العفو عني ويخرجوني من هذا السجن الذي دفعت كرها اليهِ

في سنة ١٨٩٠ قامت باريس وقعدت لتلك الفضيحة السياسية المالية الهائلة التي كادت تميت موتاً ادبياً لا حياة بعده عدداً كبيراً من ساسة فرنسا وعظماء رجالها . ان أولئك القوم كانوا أشبه شيء بهذه القطع الخشبية المهندمة الواقفة عالية الرأس في اللعبة المعروفة بلعبة «الكِيْل» وكان المرحوم لويس كاراڤال أشبه شيء أيضاً بتلك

الكتلة الخشبية الثقيلة التي يدحرجها اللاعبون بقوة نحو تلك الاخشاب . . . لطمةٌ أثر لطمة ، وصدمة تلو صدمة ! واذا بتلك القطع الواقفة قد وقعت جميعها الى الارض ، الواحدة تلو الأخرى في مثل طرفة عين . اذا عرفت هذا عرفت أي خطر كان يتهدد أولئك الرجال في قدوم كاراتال الى باريس وهو المعتمد السياسي الخبير والمثري العظيم . وعليهِ فقد تألفت في باريس في ذلك العهد ، لجنـة عُهد اليها القيام بكل عملٍ للفتك بهذا الرجل قبل وصوله الى العاصمة الفرنساوية ، وكان يعوز هذه اللجنة رجل داهية يكون يداً لها فاختارتني لذلك ، وأمدتني بالمال والنفوذ

وكان اول اعمالي اني بعثتُ الى ميركا رجلاً من اتباعي كنت اعتمد عليه كثيراً واثق باخلاصه ، وامرته بأن يتبع كاراتال كظله ، ويوقفني على حركاته وسكناته . ولكنَّ رسولي بلغ الى اميركا فور سفر كاراتال منها ، ولولا ذلك ما وصل عدونا الى ليفربول ولا رست سفينته قط الاَّ في مقر الحيتان !

ولم يكن شخص كاراتال وحده جلَّ قصدنا بل كان من اقصى امانينا ايضاً اخفاء اوراقهِ واتلافها والقضاء على رفيقه قضاءً مبرماً

وأقمت في ليفربول انتظر وصول السفينة وقد اعددت عدَّتي . ورسمت الخطة التي ازمعت ان اعمل بحسبها . واشتريت فئةً من نبهاء الانكليز لمساعدتي على اتمام قصدي . فما وقفت السفينة في الميناء حتى كنا على تمام الاهبة والاستعداد

ولما نزل كاراتال الى البر كان معه رجل اميركيّ كبير الجثة ، مهيب الطلعة ، في عينيه شرر يتقد دائماً اتقاد الكهرباء . وقد عرفناه بمـا سمعناه عنه من قبل . وكان اسمه غوميز وهو شجاع باسل يحب سيده ويتفانى في خدمته . ومما يجمل بي ان اتباهى بهِ الآن اني عرفت انه كان لا بد لكاراتال أن يسافر توًّا الى لندن ليتمكن من الوصول الى باريس في وقت سريع . فلم اشك قط انه سيستأجر قطاراً مخصوصاً يحمله ورفيقه الى العاصمة اذ يكون قطار الاكسبريس قد سافر قبل أن يدركه في محطة ليفربول . وكنت قد علمت ان السائق الذي سيعهد اليه بقيادة ذلك القطار يرجَّح أن يكون المسمى « مك فرسُن » فاشتريت هـذا الرجل في عداد الذين

اشتريتهم . ثمَّ كان ما توقعته . فان كاراتال جاء مستر بلاند وطلب منه بالحاح قطاراً مخصوصاً دفع اجرته فوراً واستقلَّ به . حينئذٍ تقدم أحـد اتباعي ووقف بحضرة مستر بلاند متسمياً باسم هوراس مور ، وطلب بدعوى اختلفهـا ما طلبه مسيو لويس كاراتال ونحن عالمون ان القانون يحظر تسيير قطارين مخصوصين في وقت واحد الى وجهة واحـدة . ولكننا طمعنا بأن كاراتال يسمح بأن يشاركه في قطاره سواه . غير ان هذا الرجل كان خائفاً وجلاً فأبى واصرَّ على ابائه رغم الحاح مستر هوراس مور الظـاهري . اما انا فكنت واقفاً على تلةٍ مشرفة على منجم الفحم المهمل في « هرتسيس » وقد ربطت خطه المفرد بالخط العام بمعاونة الفعلة الذين كانوا معي ، وحوَّلنا الطريق الى هذا الخط الصغير بحيث مرَّ القطار المخصوص شارداً عن طريقه الى طريق المنجم بل الى طريق الهاوية اللاقرار لها . وكان رفيقنا سميث الوقَّاد في قطار كاراتال ، قد أخذ على نفسه تنويم مستر سلندر المهندس لكيلا يشعر هـذا بتحوّل القطار عن خطه في المكان المختار . ولكنه قام بمهمته بطريقة فظَّة كان من جرَّائها ان سلندر وقع من القطار ومات . على ان قتل المهندس على تلك الصورة كان في عملنا المرسوم اشبه شيءٍ ببقعة سوداء في رسم جميل !

ولما اشرف القطار على الهاوية من أعلى التل خفف ملك فرمن سيره حتى تمكن سميث من القفز الى الارض ثمَّ عاد فادار اللولب فجأة وقفز هو ايضاً قبل أن يفوته الوقت . ومشى القطار وحده بسرعة فائقة

وكنت اراقب من موقفي كلَّ ذلك فرأيت كاراتال قد اوجس خيفةً من تمهل القطار وسرعته الفجائية فأطل من النافذة وابصر الخطر المحدق به ؛ ثمَّ رآنا واقفين ننظر اليـه ، فاستجار بنا ، واشار لنا مستغيثاً . واطلَّ غوميز من النافذة نفسها وهو يصرخ ويستغيث ايضاً ولكن على غير جدوى

كنت أرى ذلك المشهد المخيف وأنا طلق المحيا ، باسم الثغر لأني كنت أشعر في نفسي باني أتيت حينئذٍ عملاً متقناً كل الاتقان ، وقمت بمهمتي احسن قيام . ولقد خامرتني حينئذٍ فكرة التباهي والزهو ففتلت شاربيَّ كبراً واعجاباً وقلت لمن كان

حولي : ان لجنة باريس عرفت من اختارت لهذا العمل العظيم . وشعرت كأن قلبي قدّ من فولاذ لأنني لم أتأثر قط ، ولم اكترث لذينك الرجلين البريئين

وكأنما قنط غوميز من النجاة فأشار لنا بيده ، ورمى محفظة الجلد السوداء فالتقطتها وأنا لا أعلم قصده من وضعها بين أيدينا

وسمعنا بعد هنيهةٍ قرقعةً عظيمةً عرفنا منهـا ان القطار المخصوص قد وقع في الهوّة . وحدث على أثر سقوطه انفجار هائل سمع له دوي شديد وتكاثف الدخان في الجوّ ، فقلنا ان ذلك انما كان من انفجار مرجل القطار . . . ثم ساد على تلك النواحي سكون عميق ! ! !

حينئذٍ تحوّلنـا الى محو كل أثرٍ يدل على ارتكاب هـذه الجريمة . فاقتلعنا الخطوط الحديدية التي كنا قد وصلنا بها خط المنجم بالخط العام ، وأعدناها بذلك الى ما كانت عليهِ من قبل ثم تفرقنا فذهب كلٌّ منا في سبيله

أما محفظة الجلد فقد احتفظت بهـا لنفسي لأن الحكمة تقضي بأن لا يجرّد المرء نفسه من السلاح لا سيما متى كان كثير الصلات بمثل أولئك الرجال العظام الذين أريد منهم اليوم ان يستصدروا العفو عني . وانهم فاعلون ذلك ولا ريب ، لأنهم يعلمون ان أوراق المرحوم لويس كاراتال هي في محفظة الجلد السوداء

حاشية : راجعت ما كتبتهُ الساعة فوجدت اني نسيت ان أقول كلمة عن ملك فرسن الذي كتب الى زوجتهِ يستقدمها اليهِ في نيويرك . لقد كان من شأن تلك الرسالة ان توقع ذلك الغبي في شبكة البوليس . فكان من المحتم علينا والحالة هذه ، ان نفصل بين هذا الرجل وامرأتهِ ففعلنا . وانني أشير على هذه المرأة ان تتزوج اذا شاءت فقد أزلنا من طريق زواجها كل عقبة ؟

كاتبه هربرت دي لرناك
المقيم في سجن مرسيليا